مشاهدة الحق وهذا من التسرع الى القول على الله بلا علم بل رتب بعضهم على هذا ان من
عملها أو أجازها فهو ضال مشرك ولو انهم سكتوا عن الاثبات والنفي وصبروا
قليلاً حتى يتجلى لهم الأمر لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ومن الناس من رزقه الله بصيرة
وعرف حقيقة الأمر فيها وتصورها وتصور موادها وأسبابها وأعمالها فعلم أنها
من الصناعات التي أذن الله فيها وأقدر عليها الآدمي ومن عليه بتعلمها وأنها داخلة
في قوله تعالى: «علم الإنسان ما لم يعلم» وان الإنسان لا يزال في رقي في العلوم
والصناعات وان ذهنه وأعماله قابلة لمخترعات كثيرة وعلوم وافرة كما هو مشاهد
معروف لا يمتري فيه من له أدنى نظر وعلم أيضاً أنها داخلة في قوله تعالى: «ويخلق ما لا
تعلمون» فعلم ان وقوعها على هذا الوصف مصداق لخبر الله وخبر رسوله حيث اخبر
بوقوعها ووقعت كما أخبر فزاد المؤمن بذلك ايماناً الى ايمانه وانها داخلة في قوله تعالى:
«وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» فانها من جملة المنافع التي امتن بها على
عباده فانه يجب شكر الله عليها وعلم ايضاً أنها هي المراده بقوله ﷺ في الحديث الذي
في الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان» وما ذلك الا لأنه ستحدث صناعات
ومخترعات تقرب البعيد وتصل الاقطار بعضها ببعض ولهذا قبل ان تقع هذه الأمور
صار العلماء رحمهم الله يتخرصون في تأويل ذلك فمنهم من قال انه كناية عن فساد أحوال
الناس ومنهم من قال: اشارة الى عدم البركة في الأوقات وقالوا اقوالاً أخرى
فلما حدثت هذه المخترعات صار الواقع وتفسير الحديث وعلم انه من آيات النبي ﷺ
ومعجزاته وقريب من هذا ما ورد في السنن عنه ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تكلم الناس
السباع وحتى يكلم الرجل شسع نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده»
وما أشبهه من أدلة الكتاب والسنة ثم من نعمة الله على عباده انه أخبرهم بها في وقت
انزال الكتاب والسنة اجمالاً وعلى وجه العموم فلما وقعت تفصيلاً عرفوا كيف ينزلونه

على النصوص فلو أنه في ذلك الوقت الذي لم يشاهدوها ولا شاهدوا لها نظيراً
ولا ما يقارب ذلك أخبرهم بها تفصيلاً لوجد الأعداء مجالاً يتكلمون به ويردون ما
جاء به النبي ﷺ. فاذا كان الاسراء الذي هو من معجزاته لما اخبرهم به انكروه غاية
الانكار وقالوا: هذا محمد يزعم انه في ليلة واحدة ذهب من مكة الى بيت المقدس
ومعجزات الانبياء معروفة متناقلة بين الأمم وبذلك انزل الله تعالى: «وما جعلنا الرؤيا
التي أريناك الا فتنة للناس» الآية. فكيف لو قال لهم: انه سيكون في آخر الزمان
امور هائلة وان الناس سيطيرون في الهواء ويغوصون في البحار وتمشي المراكب في
الفيافي والقفار ويتخاطب الناس من مشارق الأرض ومغاربها لو قال بعض
ذلك ما ظنك مما يقولون فيه ولكان ذلك ايضاً فتنة لأهل الايمان ضعفاء الايمان
لأن الانسان لا يكاد يصدق الا بما رآه او رأى نظيره فكان من لطف الله واحسانه
ادخال ذلك في نصوص عامة مجملة عند وقوعها يتضح معناها ويعلم المؤمنون ان وعد
الله حق وقوله صدق بل ابلغ من ذلك انهم يرون ان هذه الصناعات والمخترعات محبوبة
لله ورسوله وانها مأمور بها امر ايجاب او استحباب وانها من اعظم ما يدخل في قوله
تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» فكلما يدخل في قدرة المؤمنين واستطاعتهم
من الاستعداد بالصناعات والمخترعات والاسلحة التي تقاتل بها اعداء الدين ويدفع بها
شرهم ويحصل النكاية بهم فانها بلا ريب داخلة فيها ومأمور بها فلو قال الجاهل:
ان هذه الآية لا يدخل فيها الا ركوب الخيل والرمي بالقوس والنشاب وضرب الرمح
والسيف الموجود في زمن رسول الله ﷺ وان الاسلحة النارية الموجودة في هذا الزمن
من رشاشات ومدافع وطائرات ودبابات وتلغراف لا تدخل في الآية الكريمة بل ربما
يقول انها بدعة محرمة فقل له بحسب ادراكه: أرأيت لو وقع حادث خطر في طرف مملكة من
الممالك الاسلامية من الأعداء ولا يمكن تلافيه الا في غاية السرعة فهل [illegible]

جامعة الرياض

Copyright © King Saud University